Turath
ISSN : 2830-9863 ; EISSN : 2992-0698
Volume 4 Issue 1 / June 2026 pp. 12-34

The Role of Folk Poetry in Resistance and Struggle in Southern Algeria

Achour SERGMA
ORCID: 0000-0002-5582-7123

University of Ghardaia, Algeria
Sergma.achour@univ-ghardaia.edu.dz

Received: 11/06/2026
Accepted: 18/06/2026
Published: 30/06/2026

*Corresponding author:
Achour SERGMA,
Sergma.achour@univghardaia.dz

Citation:
SERGMA, A. (2026). The role of folk poetry in resistance and struggle in southern Algerian. *Turath 4*(1), 10-32.

© 2026 **Turath** / Published by the Centre of Research in Social and Cultural Anthropology (CRASC), Algeria.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND 4.0 license.

ABSTRACT: *The collective memory of the Algerian Sahara has preserved a rich body of popular poetry through which local poets recorded many of the key moments in the Algerian people's struggle against French colonial rule. These poems recount important battles, historical events, and acts of resistance that shaped the long journey toward freedom and national independence. Like poets across the country, those from southern Algeria played an active role in preserving the memory of this struggle. Their poems offer valuable insights into the Revolution in these regions and help transmit the experiences of resistance—from popular uprisings to the War of Liberation—to future generations. Beyond their historical significance, these texts also possess considerable artistic value. Through vivid imagery, evocative language, and distinctive poetic forms, they transform lived experiences into enduring expressions of collective memory.*

The article highlights some of the most influential folk poets whose verses celebrated the courage of freedom fighters and reflected the realities faced by local populations. It also explores the major events, battles, and heroic figures commemorated in these poems, drawing on selected examples of songs and chants that have been passed down through generations and remain deeply rooted in collective memory. By emphasizing the historical and cultural significance of this poetic heritage, the study proposes ways to preserve and promote these texts while encouraging their wider use in future scholarly research on Algeria's history and cultural memory.

KEYWORDS: Folk Poetry, Resistance, Struggle, Southern Algeria, Collective Memory

Le rôle de la poésie populaire dans la résistance et la lutte au Sud algérien

RÉSUMÉ: *La mémoire collective du Sahara algérien a préservé un patrimoine de poésie populaire à travers lequel les poètes locaux ont relaté de nombreux épisodes marquants de la lutte du peuple algérien contre la colonisation française. Ces poèmes évoquent des batailles décisives, des événements historiques majeurs et des actes de résistance qui ont jalonné le long parcours menant à la liberté et à l'indépendance nationale.*

À l'image des poètes des autres régions du pays, ceux du Sud algérien ont largement contribué à sauvegarder la mémoire de ce combat. Leurs œuvres offrent un éclairage précieux sur la Révolution dans ces territoires et participent à la transmission, aux générations futures, des expériences de résistance, depuis les soulèvements populaires jusqu'à la Guerre de libération nationale. Au-delà de leur intérêt historique, ces textes se distinguent également par leur richesse artistique. Grâce à un langage expressif, à des images poétiques évocatrices et à des formes d'expression originales, ils transforment les expériences vécues en témoignages durables de la mémoire collective.

L'étude met en lumière quelques-uns des poètes populaires les plus influents, dont les vers ont célébré le courage des combattants de la liberté tout en rendant compte des réalités vécues par les populations locales. Elle examine également les principaux événements, batailles et figures héroïques évoqués dans ces poèmes, en s'appuyant sur des exemples de chants et d'airs populaires transmis de génération en génération et demeurés profondément ancrés dans la mémoire collective. En soulignant la valeur historique et culturelle de cet héritage poétique, cette contribution propose des pistes pour sa préservation et sa valorisation, tout en encourageant son intégration dans les recherches futures consacrées à l'histoire et à la mémoire culturelle de l'Algérie.

MOTS-CLÉS: Poésie populaire, Résistance, Lutte, Sud algérien, Mémoire collective.

دور الشعر الشعبي في المقاومة والنضال بالجنوب الجزائري

ملخَّص: تحتفظ الذّاكرة الشّعبية في مختلف ربوع الصّحراء الجزائرية بعدد من النّصوص الشّعرية الشّعبية التي استطاع الشعراء من خلالها توثيق كثير من المحطات، وذلك بتخصيص الحديث عن بعض المعارك والأحداث الهامة التي صاحبت مسيرة الشعب الجزائري في نضاله ضد المستعمر الفرنسي في سبيل استرجاع سيادته. واشترك في ذلك شعراء الجزائر في الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتحمل تلك النصوص الشعرية الشعبية العديد من التفاصيل التي يمكن أن تسهم بشكل مباشر في التأريخ للثورة بتلك الربوع، ونقل قصة جهاد ونضال الشعب الجزائري في مقاوماته الشعبية وثوراته التحريرية، لتصل للأجيال اللاحقة بجميع تفاصيلها، وهي إضافة إلى ذلك تحتفظ ببعدها الجمالي والإبداعي، حيث نُظمت تلك الأحداث في تراكيب لغويّة متميزة وصور إبداعية، وبذلك تحقق فيها جمال المبنى وجلال المعنى.

سنعرِّف في مقالنا بأبرز الشعراء الشعبيين الذين جعلوا من قصائدهم سجلاً حياً لتضحيات المجاهدين ومعاناة السكان وآمالهم في الحرية والاستقلال. كما سنستعرض أهم الأحداث والمعارك والشخصيات البطولية التي خلدتها هذه النصوص الشعرية، مع تقديم نماذج مختارة من الأشعار والأهازيج التي تناقلتها الأجيال وحفظتها الذاكرة الجماعية. وفي الأخير، سنقترح بعض السبل الكفيلة بتثمين هذا التراث الشعري وإبراز قيمته العلمية والثقافية، بما يتيح الإفادة منه في الدّراسات والبحوث المستقبلية، قبل أن نختم بأبرز النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه القراءة.

الكلمات المفتاحيَّة: شعر شعبي، مقاومة، نضال، جنوب الجزائر، ذاكرة جماعية.

مقدّمة

لقد أشاد العديد من شعراء الجنوب الجزائري بالمقاومات الشعبية التي عرفتها مختلف مناطق الوطن عامة ومناطق الجنوب بصفة خاصة، واستطاعوا من خلالها إبراز مقاومة الشعب الجزائري للمستعمر الفرنسي دفاعاً عن وطنه وشخصيته ومقومات هويته العربية والإسلامية، والأمر نفسه بالنسبة للثورة التحريرية المباركة التي كان لها أيضاً نصيبها من الاحتفاء لدى شعراء الملحون بالجنوب الجزائري، وهو ما سنحاول أن نعرضه في مقالنا هذا.

نحاول أن نسلط الضوء في هذه الورقة على منطقتي غرداية والمنيعة بالجنوب الشرقي الجزائري؛ باستحضار بعض الأعلام من الشعراء والنصوص الشعرية الجديدة لتبيان كيف يمكن أن يقدم الشعر الشعبي خدمة كبيرة للتأريخ، ومنه التعريف ببعض المحطات التاريخية الهامة في انتفاضة الشعب الجزائري بالجنوب الجزائري بصفة خاصة بالقطر الجزائري بصفة عامة ضد المستعمر الغاشم.

وتمكنا من خلال البحث في سير وتراجم ونصوص شعراء الملحون بغرداية والمنيعة منذ ما يقارب خمس عشرة سنة من الوقوف عن عديد الشعراء والشاعرات[1]، ومعظم هؤلاء الشعراء تحدثوا في قصائدهم عن الثورة التحريرية المباركة بعضهم عايشها والبعض الآخر يروي تفاصيلها من خلال ما توارثته الذاكرة المحلية من أحداث ووقائع حولها، في إطار إيصال رسالة الثورة إلى الأجيال الحالية وللمحافظة على مكاسبها، وبعض أولئك الشعراء عايشوا الثورات الشعبية مثل الشاعر قدور بلخضر بيتور الذي عايش ثورة الشيخ بوعمامة، ومن أولئك الشعراء الذين جمعنا تراجم حولهم بغرداية والمنيعة نذكر:

من شعراء "متليلي الشعانبة"

قدور بلخضر بيتور، عبد القادر بن الشرع، الحاج علي الزيغمي، الحاج أحمد هيبة (بهينيسة)، الحاج محمد زيطة، الحاج محمد مصطفى، الحاج البشير بن محمد السيراج، الحاج عبد الله السيراج، خالد شامخة، جلول خرنق (بن لخضر)، عبد الله السراج، آل سيد الشيخ عبد المالك، لحسن أولاد العيد، عمر أبو حفص نواصر بن جلول، الحاج أحمد لعمش الملقب (بن حريرة)، الشيخ محمد شرع الملقب (المحصر)، الشيخ المجاهد مرسلي عبد القادر...

من شعراء "المنيعة"

شبير جلول، شبير ابراهيم بن براهيم، بن حمادي، لحبايكي قدور، سليماني ابراهيم، قدور اولاد المختار، بن عبد الرحمان الطاهر علي بلحاج، حمة بلحاج، الشيخ مسعودي، خليفة قادة بن فضل، امحمد أولاد الحاج ابراهيم...

[1] ونحن نحاول خلال هذه السنوات تثمين هذه العملية في إطار مشروع PRFU بعنوان: موسوعة شعراء الملحون بغرداية والمنيعة: جمع وتصنيف

من شعراء منطقة "القرارة" وضواحيها

أولاد مبارك ميلود، البشير أولاد العيد، عبد القادر بطاش، البار حمية، بن عيسى يحي بن فتيتة، البار العلمي، عبد الله البار، البار مسعود، جريوي حيدر، ضبع قدور، الحيلي محمد بن الأخضر، أولاد النوي أحمد، أولاد النوي الصغير بن العلمي، بن علي سعيداني بن عبد الرحمان، جعيدير لخضر، عالب قويدر، جعيدير زيان، الڤيرع محمد، الداودي السعيد بن خليفة...

من شعراء منطقة "برّيان"

سيدي أحمد بن الحرمة، سي ابراهيم بن سيدي أحمد بن الحرمة، علي بن حسن اولاد مبارك اليحياوي، [قطاف بن قطاف بن سعيد- عيسى بن الطاهر - مطلق عمار بن الحاج سعد - النعجة سعيد بن الحاج اعطيه - الشاعرة خديجة بنت بالحارث " الحشودية"[2].

ومن الشواعر بغرداية

نذكر رمضاني إلهام (القرارة) عكري النوية (غرداية) حدة بن عمران (متليلي) وغيرهن.

كثيرة جداً هي المقاومات الشعبية التي انفجرت بالجنوب الجزائري أو امتدت إليه من مناطق أخرى بشمال وتل الجزائر نذكر بعضها حسب الترتيب الزمني:

نُسلِّط الضّوء في مُداخلتنا على الشّعر الشّعبي الملحون الصّوفي في الجزائر؛ وكيف استطاع أن يكون صوتاً مَسموعاً يُرافق مُختلف الطّرق الصّوفية في نضالها وسعيها للتّحرر، وقد عَرفت الجزائر وخاصة مناطق الجنوب الجزائري عديد الثّورات الشّعبية التي كان لمختلف الطرق الصوفية دورٌ كبيرٌ في احتضانها والسّير بها ابتغاء التّحرر والانعتاق من قيود الاستدمار.

ولعلَّه من الجدير بالذِّكر الإشارة إلى أن الجزائر عرفت عدّة ثورات شعبيّة، والتي كان قادتها يَنتمون لمختلف الطُّرُق الصُّوفية مثل القادريّة والشّاذلية والتّيجانيّة وغيرها وما تفرَّعت عنها من طُرُقٍ أخرى، ومن تلك المقاومات الشعبية نذكر: مُقاومة الزّعاطشة (1848) – مقاومة بن ناصر بن شهرة بالأغواط ومقاومة تڤرت (1851) - مقاومة أولاد سيدي الشّيخ (1864) - مقاومة المُقراني والحَدّاد (1871) - مقاومة واحة العامري (1876) - مقاومة الشّيخ سيّدي بوعمامة (1881-1908) - مقاومة التّوارق الأهقَّار وآزجر (1880) بأقصى الجَنوب الجزائري؛ وأيضاً معركة الدُّغَامْشَة (5 جانفي 1900م الموافق لـ 4 رمضان 1317هـ) بقيادة مولاي عبد الله الرَّقاني بن مولاي العباس بمنطقة تيديكلت، وظهر على إثر ذلك عَديد الشعراء منهم سيدي لخضر بن خلوف (مثلاً: قصيدته "قصّة مَزَّغْرَانْ") ومنهم أيضاً الشّيخ سيدي أحمد بن الحرمة ببريان ومحمّد بلخير بالبيّض وقدّور بَلَّخْضَر بيتور في متليلي الشّعانبة وقويدر بن طريبة في ورقلة وعبد الله بن كرّيو بالأغواط وغيرهم كثير، حتَّى أنَّه يُمكن أن نُلقِّب بَعضهم بـ"شُعَرَاء الطَّريقة"، لكثرة النصوص التي كتبوها في امتداح مَشَايخ طرق الصوفية؛ ومختلف محطَّاتهم النِّضاليّة، وبالتالي فهي تحقق بصدق ثنائية الشيخ والمريد (الذي هو الشاعر)، وتؤطر كلَّ ذلك عاطفة متميزة من الحب الصوفي.

[2] ينظر: مطلق عمار بن الحاج سعد، مدخل إلى تاريخ أولاد سيدي يحيى الحسني الأشراف بالصحراء الجزائرية، ط1، 2011، مطبعة سي العربي، بن عكنون الجزائر، ص. 156، وقد أورد الكاتب بعض أشعارهم في هذا الكتاب.

وقد نَقَلَتْ لنا قَصائد الشّعر الشّعبي الملحون عديد التَّفاصيل المُتعلقة بتلك المعارك الفاصلة بين المجاهدين وقُوَّات الاستعمار الغاشِم، وَذَكَرت لنا عديد التّفاصيل التي قد تجعل منها وثيقة تاريخيّة، وشاهداً على الدَّور الكبير للطُّرق الصُّوفية في مقاومة المستعمر، واستحضار فكرة الجهاد والنّضال، واعتباره قضيةً مِحوريةً وأسلوباً لا بُدَّ منه للدّفاع عن بلاد الإسلام والمسلمين، ويمكن الإشارة إلى أن لغة تلك النصوص لم تكن موغلة في فلسفة التصوف وقضاياه، واستعمال الرمز واللغة الصوفية، بل كانت بسيطة في ألفاظها إلا أنها تجمع بين جمال المبنى وجلال المعنى.

ولأن أولئك الشّعراء كانوا يُشكِّلون خطراً على السُّلطات الاستعماريّة فقد تم نفي بعضهم وتغريبهم عن أوطانهم للتقليل من خطرهم، كما فُعل بالشاعر ولعلنا نبدأ من الوقوف عند بعض المحطات التي تبين بأن الشعراء كانوا يشكلون خطراً على السلطات الاستعمارية لذلك دائماً ما كانوا يضايقونهم أو ينفونهم من أوطانهم إلى أماكن بعيدة، وهو ما فعلته مع عديد الشعراء الشعبيين الجزائريين نذكر منهم:

نفي الشاعر مصطفى بن ابراهيم (1800-1867) إلى مدينة فاس المغربية، يقول في قصيدته "قلبي تفكر لوطان والهالة":

" قَلبي تْفَكَّرْ لوطان وَالهَـالَـــــه رَانِي مَهْوّلْ مَانّيشْ فِي حَالِـــي
قَلْبِي تْخَبّلْ بَالْـوَحْشْ تَخْبَالَـــه وَعْلاَهْ يَا مَرْوْ غْرِيبْ تَلْغَى لِي"

(صبار، 2002، ص.29)

ويذكر بأن الشاعر «عاش ما يزيد عن خمس سنوات بعيداً عن الوطن والأهل والأصدقاء، كما يؤكد ذلك الزمن على أن هذه القصيدة كتبت في هذه الغربة التي كانت قاسية وعنيفة على وجدان الشاعر حتى تركت فيه بصمات لم تمح أبداً» (بشير بويجرة،2002، ص.75).

ويقول أيضاً:

«خُذْ الوَادْ وْسِيرْ بَالدَّرْجَه فِي البْـطَامْ تْصِـيبْ جَـمْعْ قْبَابْ
هَـذُوك الصُّلاح مْـهَاجَه زُور الـرَّوْضَه وَانْتْشَدْ لَقْـــطَابْ
قُولهم مَرْسُولْ بَالحَـاجَه مَنْ فَاسْ أَنَا جِيتْ جَبْتْ الْكْتَابْ
مَنْ عَنْدْ اللِّي رَاهْ يَـتْلاَجَـا صَفى إلى مَـنْفَى بْـــلاَ طْـلاَبْ
كَانْ يْدِيرْ عْرَاسْكَمْ فَرْجَـا مَـا تْفُوتُـوش علـيه يَـالَحْبَابْ»

(صبار، 2002، ص.29)

ويرى بولرباح عثماني بأن «شعر الحنين إلى الوطن تجسد فعلا من خلال ما ذكره مصطفى بن إبراهيم حيث أن شعره يفيض حباً للوطن الذي تعلق به، فتغنى به، وحن إليه، واشتاق لأهله، وهذا كله كان بلغة متينة، اعتمد فيها الشاعر على التصنع والتكلف في بنائها ونسجها».(عثماني ،2020، ص. 236).

نَفْي الشَّاعِر محمد بلخير

محمد بلخير[3] شاعر الشيخ سيدي بوعمامة، و بعد قيام ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المنتفضة معها في 08 أفريل 1864ضد الوجود الفرنسي بالجهة كان الشاعر محمد بلخير ضمن صفوف الثائرين ولعب دورا بارزا في هذه المقاومة، فقد كان لسان حالها، وقام بدور ومهمة وسيلة الإعلام لها، وذلك من خلال فخره ببطولات الثوار والإشادة بانتصاراتهم على الفرنسيين والرد على الخونة و القاعدين والتشنيع بهم، وإلهاب حماس الأهالي لدفعهم إلى الالتحاق بالجهاد لمقارعة المستعمر ، وظل يخوض مع رفاقه الثوار المعركة تلو الأخرى حتى توقيع عقد صلح بريزينة في 20 ماي 1883 بين زعماء الثوار والسلطات الفرنسية، لإنهاء القتال بين الطرفين، وقد رفض محمد بلخير هذا الصلح جملة وتفصيلا، وانفصل عن مخيم سي قدور بن حمزة الزعيم الرابع لثورة أولاد سيدي الشيخ، رغم محاولات إقناعه و ترضيته بشتى الوسائل، فسافر إلى المنيعة سعيا لحشد الأنصار وجمع المال والسلاح، توفي حوالي 1898م. دفن بعد وفاته في " تيغست " ضواحي بوعلام، وبعد الاستقلال نقلت رفاته إلى مقبرة الشهداء ببوعلام ليعاد دفنه فيها وقد كتب الشاعر محمد بلخير في منفاه عدة قصائد منها قصيدة "في كالفي" و"كالفي" هو اسم القلعة الموجودة بجزيرة كورسيكا التي يقول في مطلعها وهو يستنجد ويناشد شيخه بوعمامة بإنقاذه وإخراجه من هذا المنفى:

«يَا سَايَلْني لا تْسَوَّلْ خَلِّيني في احْكَامْ رَبُّ العَالَمِينْ
نَسْتَنَّى كَامْلْ الْخْصَايَلْ رَحْلْ البَيْضَا إِمَامْ الصَّالِحِينْ
مَنْ وَحْشَة خَاطْرِي اتْهَوَّلْ وَحْشْ اوْلاَدِي وْحُبُّ سِيدِي جَاوْ اثْنِينْ
رَانِي في كَالْفِي مْجَوَّلْ أَنَا وَالشِّيخْ بَنْ دْوِينَه مَرْهُونِينْ»
(بالسايح، 2007، ص. 710).

وبن دوينة هذا هو صديقه في الثورة والجهاد إلى أن يقول:

«ضَاقَتْ رُوحِي بْغِيتْ نَرْحَلْ مَنْ بَرّْ الرُّومْ نَنْتْقَلْ للمُسلِمِينْ
أَنَا وَاوْلاَدْ الْقْبَايَلْ رَانِي نَشْكِي عْلَى المْحَابِيسْ امْسَاكِينْ
اطْلَبْتَكْ يَا الله تَقْبَلْ بَعْدْ الضِّيقْ اتْفَرَّجْ عْلِينَا في الْحِينْ»
(بالسايح، 2007، ص. 107).

وله قصيدة أخرى حول أسره بجزيرة كورسيكا بعنوان " يا سيدي عار الله" يقول في مطلعها:

رَحْلْ البَيْضَا للهْ حُرْمْتَكْ عَارَكْ لاَ تَنْسَانِي جَبْنَا لِيكْ الصُّلاَّحْ وِينْ طَافُو في كُلّْ بْلاَدْ
سَرَّحْنِي يَا سِيدِي بْجَاهْ الاَعْرَجْ مُولَى بَغْدَادْ
سَرَّحْنِي يَا سِيدِي انْجِي نَشُوفْ وَطْنَكْ وَاوْطَنِي وَانْسَالْ عْلَى الاَحْبَابْ كَانْ مَزَالُو جَارَكْ عَادْ
(بالسايح، 2007، ص. 112).

إلى قوله:

يَا سِيدِي خَايَفْ لاَ نْمُوتْ في ذَا الحَبْسْ النَّصْرَانِي لاَ طُلْبَه لاَ تَأْذِينْ لاَ صَلاَةْ عَنْدَه لاَ تَشْهَادْ
يَا سِيدِي عَارْ الله لاَ تْفُوتْ عْلِيَّ تَنْسَانِي يَاكْ احْنَا مَتَّفْقِينْ في المْحَبَّه نِيَّه وَاجْهَادْ
(بالسايح، 2007، ص. 107).

[3] هو محمد بلخير من قبيلة الرزيقات فرع أولاد داود، ولد حسب التقديرات ما بين 1832-1830م بوادي المالح، ضواحي عين تموشنت أي أنه ولد مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وقصيدته الأخرى المشهورة حول أسره التي يقول في مطلعها:

سَلاَّكْ المَغْبُونْ مَنْ وَطْنَ القِفَارْ قَـادَرْ كُـلْ غْـرِيبْ لَبْلاَدَهْ تَـدّيـهْ
سَلَّكْنِي مَا بِينْ سَدّْ اوْ سَدّْ احْجَار وَالمَغْبُونْ يْشُوفْ لُـوكَانْ بْعَيْنِيهْ
(بالسايح، 2007، ص. 112).
مَا عَنْدِي طَاقَه وْلاَ بِيدِي مِقْدَارْ هَمّْ الْحَبْسْ وْزَادْ هَمّْ الضُّرّْ عْلِيـــه
(بالسايح، 2007، ص. 115).

ويبدو أن الشاعر نُفي مرة أخرى أو دُفع للتهجير والترحيل إلى منطقة المنيعة، فهو يذكر في قصيدته التي يناشد فيها سكان المنيعة احتواء ثورة شيخه الشيخ بوعمامة ونصرتها:

اضْـيَافْ الله يَـا رْكَايَـزْ رْجَـالْ الدّيوَانْ كَـذَا مَـنْ شِيخْ فِي المْنِـيعَه
مُحمّد حَـــاجْتَه قْضُـــوهَـا بَلّي كَـانْ يَـــا مَـنَّاعِينْ كُـــلْ مَنْـعَه
حَـــيّنْ وْنَـــايْمِـــينْ نَطْلَـبْكَمْ جِـــيرَانْ صَدُّوا لَلْمْضِيفْ بَالْجْمَاعَه
يَا نَـاسْ الجُودْ وَالْجْدَا وَاهَـلْ البُرْهَـانْ غِيـــثُوني بَـــالْغْلاَمْ فَـــزْعَه
تَلْمِـيذْ الشّـــيخْ وَاجْـــبُوني بَـالّي كَـانْ وَالـــزّايَرْ بَـــابتُه الطَّـــمْعَه
(بالسايح، 2007، ص. 115).

إلى أن يقول:

خَاطَرْ وَغْرِيبْ وَانْجْلِيتْ لْذِي الاَوْطَانْ رَانِي فِي عَـــارْكَمْ وْدِيـــــعَه
وَنَـــا سِيدْ الشّـــيخْ سَـــامْ الفُـرْسَـــانْ بْجَـــاهَه امْعَـمَّرْ الفَـــرْعَه
مَـا دَايَرْ فَالْـطَهْ اهْجَـرْتْ عْلَى الإيمَانْ مَـاهِي سَـرْقَه وْلاَ خْـــدِيعَه
هَرَّبتْ نَفْسِي مَنْ النْصَارَى وَالشَّيْطَانْ وَالْغَايَبْ تْصَحْبَه الشَّـفْعَه
(بالسايح، 2007، ص. 98-99).

نفي الشاعر عبد الله بن كريو إلى المنيعة

وقد كتب ذلك في قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها:

هَلَّكْنِي تَـــرَّاسْ جَـــا مَتْعَنّـِيني وِيفَتَّشْ عَنْ نَسْبْتِي جَـانِي سَـــوَّالْ
قَالْ بْدِيتَكْ بَالسُّوَالْ تْسَامَحْـنَا لاَ تَجْحَدْ شِي كُونْ صَادَقْ فِي المَقَالْ
أَنَـــا مَـنْ لَقْـــوَاطْ مَـانِشِي مَنَّـا بَسْـوَالَكْ هَلَّكْـتْنِي زَادُوا لَعْـــلاَلْ
(خميلي، د. ت، ص.102).

إلى قوله:

مَانِي دَارِي نَشْتَاقْ شَوْفَه مَنْ هَلْنَا وَلاَنِي ضَـارِي نَفْرَقْ بْلاَدِي مُحـــاَلْ
لاَنِـي قَـــاتَلْ رُوح مَـــنْ بَرّي نَجْـنى وْلاَنِي دَايَرْ سَايْسَه مَنْ وَطْنِي مَالْ
(خميلي، د. ت، ص.103)

وإن كان لكل شاعر ظروف وملابسات نفيه واغترابه عن بلدته أو وطنه.

نفي الشاعر قدور بلخضر بيتور (1860-1921)

فقد قامت السلطات الفرنسية حسب ما ورد في بعض الروايات بنفي الشاعر قدور بلخضر بيتور شاعر غرداية ومتليلي الشعانبة وهو رفيق الشاعر بن طريبة وبينهما تأثر كبير في كتابة الشعر نظراً للعلاقة الوطيدة التي كانت تربطهما ببعضهما البعض.

نفي الشّاعر بلّخضر قدّور إلى السّودان

تعاظم خطر الشّاعر على العدو المحتلّ من جانب تناوله موضوعات الفتوحات الاسلامية ببلاد المغرب، وتحرير شعوبه من ربقة الغطرسة الرّومانية، شعرا وغناء، ومن جانب آخر عزوفه عن مدح القائد باعتباره خادما للمستعمر الفرنسي، فقد روى لنا الأستاذ لعمش حسين أنّ الشّاعر قدّور بلّخضر بيتور تعرّض في فترة من حياته إلى المنفى لسبع سنين من قبل أحد القادة لأنّه لم يكن من شعراء البلاط، ورغم شعوره بالوحدة والغربة إلاّ أنّه لم يستطع التّصريح بهذا الكرب تجنّبا لإثارة البلبلة في أوساط محبّيه حيث يقول متحسّرا صابرا:

« يَـــا فَاهَمْ مَعْنَى قَصْتِـي نَصْبَرْ انْتْجِينِي سَاعْتِـــي
نَرْجَى[4] لَبْطَالْ زْفَاقْتِـــي وْبَـــارَدْ لَكْتَـافْ ذْلِيـــلْ
بلّخْضَرْ قَـالْ اكْفَـــايْتِي وْصَبْرِي لَلْمَـوْلَى رَاحْتِـــي
وَاحْلاَلْ الرَّزْقْ تْبَاعْتِـــي وْلاَ طَـالْ عَـمر بَخْـتِيـلْ[5]
مَنْ لَبْحَـرْ سْقِيتْ دْوَايْتَـــي وْخَرّجْتْ طْوَابَـعْ نَسْخْتِـــي
وْسَـالْ العَاقَـلْ يْلاَ تَفْـتِـــي وْسَـالْ اصْحَـابْ التّنزِيـلْ»[6]

ولم تنته محنته، وتنقطع غربته، الاّ بعد أن ترضّ القائد، وأذن له العدوّ الغاصب بالعودة، شرط إثبات حسن السلوك في زعمهم، فتبنّى سياسة الهدوء وإدراج أهدافه في قصائده بفطنة وحكمة بالغتين.

ويذكر بعض الباحثين بأن قصيدة قصة هاروتة التي قالها الشاعر إنما هو يوري بها عن السلطات الاستدمارية التي اختطفته وطلبت منه أن يرضى عنها ويتوقف عن تهديدها برواية شعره وتحفيز السكان على الثوران عليها[7]

---

[4] رجى: أنتظر.
[5] يختيل: من الختل، بمعنى المخادعة.
[6] خالد الشامخة، ديوان الشّاعر الشّعبي الشّعانبي قدّور بلّخضر بيتور، مخطوط، ورقة: 118.
[7] ذكر الشاعر منصور زيطة ما يلي:
لدينا في مدينة متليلي الشعانبة شاعر شعبي مشهور اسمه قدور بلخضر (1860-1921) له قصة مشهورة مع جنية لكنه لم يكن فاقدا للقدرة على الكلام: قصّة الشّاعر مع الجنيّة "هَارُوتَه"، روى لنا الشّاعر الحاج محمّد زيطة قصّة الشّاعر قدّور بلّخضر بيتور مع الجنيّة "هَارُوتَه"، الّتي أصابتها الغيرة من معشوقته مسعودة، الّتي طالما تغزّل بها في الكثير من قصائده، وذات ليلة استوقفته الجنيّة "هَارُوتَه"، مُأنّبة إيّاه، حينما كان متوجّها لإحياء حفل ليلة عرس، وبعد عراك كلاميّ شديد، كانت الغلبة فيه للشّاعرّ؛ مع اشتراطها عليه أن ينظم فيها مائة كلمة وكلمة، (مئة قصيدة وقصيدة) فأنشدها الشّاعر قصيدة بمئة كلمة وكلمة مطلعها:

ســـالوني كيفاه مفتي قصّة هـــاروتة واطلبت طلبة بغير لتّة في اهمـــوم طـوال
هذا الجنيّة بهيتة ما قالت بسوال
ترشّقت بلا حديدة واعظامـــي نوذة وترشّقت بلا حديدة وكسى الجسد اجلال
قالت كان الدّير وحدة تترك مسعودة وتتولع بـــي زيـــادة باش انديرك فـــال
قالت لي شعّار شتّى كانوا كيـــف أنت ونحسبهم حتّى موتى لياقاضكشي الحـــال

من خلال هذه الأبيات يتبيّن لنا أن الشّاعر قد أصيب بالفزع الشّديد الذي كساه، طالبا منها تركه وشأنه، لأنها سيّجت جسمه بالرّهبة والألم، وعظامه بالبرودة والهشاشة؛ إثر لقاءه بها مظهرة تعلّقها الشّديد به؛ وغيرتها من محبوبته مسعودة، طالبة منه ترك ونسيان هذه الأخيرة، ورغم كل إغراءاتها وإلحاحها إلاّ أنّه بقي وفيا لمسعودته، راضيا بعقد صلح مع الجنّية بقبوله البدء بقصيدة الجنّية في كلّ حفل. إلاّ أنّ رأيا آخر يعلّل لهذه القصّة بأنّ الشّاعر تورّى بهذه الحادثة، ليكتم مسألة نفيه عن العامّة للمحافظة على سلامة وأمن أحبابه ومريديه.

إنّ المتصفّح للحقبة الزّمنية الّتي عاشها الشّاعر قدّور بلّخضر (1860م-1921م)، يجدها حافلة بثورات شعبيّة عدّة، فإذا استشعرنا الرّوح الثّورية في شعره، ألفيناها طافحة طافيّة حيث كان كثير النّظم عن الفتوحات الإسلاميّة ببلاد المغرب العربيّ، ثمّ يحزمها بشعلة داعيا من خلالها إلى التّحرّر، واسترجاع الماضي المجيد، ولكَم كان تأثّره شديدا بـ" عبد الله بن جعفر" الّذي ورد ذكره في عديد قصائده.

وإنّه دائم التّفكير في الثّورة، وقد كتب عدة قصائد يثني فيها على الشيخ سيدي بوعمامة البكر(بيتور،2020، ص.43) ، واستحضاره للمغازي والفتوحات التي قام بها الصحابة والفاتحون، وقد ربط قدور بلخضر بيتور بين الواقع الأليم الذي كان يعيشه الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار وبين الدعوة إلى الانتفاضة على الاستعمار كما فعل الصحابة والفاتحون، ومن ذلك قوله مثلا في قصيدة فتح في مدينة المروة:

"قَوْلِي عْلَى ابْطَالْ انْ رَخْسُوا لَعْمَارْ ضـَارِي لْـوِينْ هَدُّو زَنْجَارْ الرُّومْ
وَاللِّي مَنْ بَعْدْهَمْ حُكْمْ البَاطَلْ جَارْ وَالحَقّْ غَابْ عَادْ اشْعَاعُو مَرْدُومْ
تـُوفِي بْطَلْبْتِي يَا عَالَـمْ لَـسْرَارْ قَـدُّورْ فِي حْـجَابْ الجَـنَّا مَرْحُـومْ
هُـوَ وْخَـاوْتُو وَجْمِـيعْ الحُـضَّارْ وَالمسْلِـمِينْ لاَ شَـاقِي لاَ مَحْـرُومْ
بْجَـاهْ بُـوعْمَامَه قُـطْبْ الـزِّيَّارْ وَالصَّالْحِينْ وَالهَادِي سَيِّدْ القَوْمْ»
(بيتور،2020، ص. 137).

وقوله في إحدى غزوات عبد الله بن جعفر:

مَايَعْمَلْ عَبْدْ الله وْصَرْبْتُو قَاعْ الرُّومْ فْنَاهْ وَهْدَاوْ الدَّمْ ايْسِيلْ عَالسْوَاحَلْ كي سَيْلْ الوَادْ
بْدَاوْ بْشَرْحْ الـدّينْ وَالجْوَامَعْ الاَمِيرْ بْـنَاهَمْ هْـدَاوْ العِـلْمْ وَالاَذَانْ وَالصَّلاَ وَالحِزْبْ وْلَوْرَادْ
وَانَا قَوْلِي عَالتـّايْكِينْ وَعْـلاَه الحَـزّْ بْلاَهَمْ ضَارِي نُـوبَا وِيهَجْمُوا عْلَى الـرّومْ بْلاَ تَلْبَادْ» (بيتور،2020، ص. 151).

ويقول في مطلع قصيدة "فتح سطيف":

«صلّوا عْلَى النّبي يَا حُضّارْ هْنَايَا طُولْ الدّْوَامْ مَنْ نُورُو لاَ يَطْفَا
صَلّوا عْلِيه وَارْضُوا عَلْخُلَفَا» (بيتور،2020، ص. 118).

ويتَّضِح تلهّف شاعرنا وتَوْقَه إلى أبطال يغيّرون واقع البلدة المغبون أهلها؛ تحت نير الاحتلال وسياطه الملهبة قائلا:

«شَرْحُوا الدِّينْ وَمْنَاهَلْ كُلّْ اقْرَايَا بَالصَّوْمْ وَالصّْلاَ وَآذَانْ الوَقْـفَا
قَوْلِي عْلَى ابْطَـالْ انْ كَانُوا لـَقّايَا يَوْمْ الطّْرَادْ وَعْـدُوّهَمْ مَرْجُوفَا
وَعْـلاَهْ بَعْـدْهَمْ تَشْعَرْ ذَا الغَنَّايَا وَعْلاَهْ ذَا الطّْرْبْ وَاعْلاَهْ العَزْفَا
وَاعْلاَهْ تْحَسّْبُوا مَنْ جَابَتْ ضَنَّايَا وَعْـلاَهْ جُـودْنَا بَـعْدْ النِّـيَافَا»
(بيتور،2020، ص. 125).

وفي قصيدة أخرى يقول:

«بَعْـثُو قَـايَدْ مَنْ ثْرَيْـبَه وَمْنْ اللّـيل ادْعَـا بْقُرْبُو
وَكْـتَبْ عَبْدْ الله لْعَـقْبَه قَدّْ الحَرْفْ عْلَى اجْوَابُو
شَارْ بْقَوْلْ عْلَى الصّحَابَا يَـا فُـرْسَانْ اللاَّ تْهَـيّبُو
وَاسْيَادِي وَجّْـدُوا بْرَكْبَ بَطْنَابَرْ وَاطْبُولْ ضَرْبُو»
(بيتور،2020، ص. 174).

ويقول في آخرها:

«وَابْكِي يَا عَيْنِي عْلَى مِيعَادْ انْ كَانْ مَـنْ بَعْدُو لَتْرَاكْ حَـقْرُو
تُوفِي قَصْدِي يَـا الله انْـتَ الحَـنَّانْ وَالمـدَّاحْ تْكُـونْ سَتْرُو
بَنْ لَخْضَرْ تَسْقِيه مَنْ جَنَّة رَضْوَانْ مَنْ لَظَى تَمْحِي اضْرُورُو
نَـا وَالمسْلِمِينْ وَجْـمَاعَـةْ لَخْـوَانْ يَـا غَـفَّارْ اللّي تْغَـفْرُو»
(بيتور،2020، ص. 175).

ومعلوم أنّ مجرّد ذكر بطولات القادة الكبار، تلهب النّفوس حماسة، توقا إلى المجد والعزة والفضل، وترك الخنوع والخوف، والموت والاندفاع بقوّة، للذّود عن حمى الدّين والوطن، فما بالنا إذا كان الشّاعر يصوّر ببراعةٍ الأحداث والشّخصيات، مفصّلا بدقّة متناهية الجوانب التّاريخية والنّفسية والاجتماعية، لخدمة الوعي الوطني، وذلك حتّى بعد موت الشّاعر بأكثر من عقدين، حيث أنّ الكثير ممّن كان يحضر الحفلات الّتي كان ينشد فيها شعر قدّور بلّخضر بيتور يتوجّهون مباشرة للانخراط في صفوف الثّورة التّحريرية الكبرى، وذلك لما تحويه هذه القصائد من شحذ للهمم وإلهاب لروح الجهاد في سبيل الله عن طريق حَبْكِ صور واضحة مؤثّرة من الملاحم، الّتي خاضها الأسلاف لإعلاء كلمة الله تعالى والدّعوة للتّحرّر.

وقد اهتم الشاعر الشيخ قدور بلخضر بيتور بشعر المغازي الذي استحضر من خلاله بطولات الصحابة وفتوحاتهم من أجل نشر الإسلام والدفاع عن بلاد المسلمين، استحضرها حتى يدفع المجاهدين في الجزائر للدفاع عن وطنهم وتحريره اقتداء بأسلافهم من الصحابة (سرقمة، 2018، ص. 26). لذلك كتب عدة قصائد حول الفتوحات منها: فتح تونس، فتح المهدية، غزوة سوسة، فتح تبسة، فتح سطيف، فتح مدينة المروة، غزوة ورقة، قصيدة الجدار، فتح مدينة فاس، فتح مراكش، راس الغول، فتح تلمسان، قصيدة الهضام، فتح مدينة وجدة...

يُعدّ الشّاعر بلّخضر قدّور بيتور من الطّبقة المثقّفة في عصره، إذ كان ينهل من أمّهات الكتب المتوفّرة في تلك الحقبة الزّمنية، وامتاز شعره بقدرة عجيبة في قراءاته لغزوات فتح الشّمال الإفريقي، على يد أبطال أشاوس كعقبة بن نافع وعبد الله بن أبي السّرح، وكان في الجيش «عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزّبير وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين ابنا علي (رضي الله عنهم أجمعين) لذلك سمّي هذا الجيش: جيش العبادلة...» (الدّعة، ص. 256).

وتحويل هذه القراءات إلى ملاحم مصوّرة تصويرا دقيقا، فهو بمثابة المخرج السّينمائي الّذي يجمع شتات عناصر القصّة في سبك عجيب، ثمّ يحيل إلى مقارنة واقع قومه ودولتهم بما قدّمه الأسلاف من تضحيات جسام في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وحرية الإنسان على ظهر هذه البسيطة، داعيا إلى الانتفاض بأسلوب يخاطب الرّوح دون ضوضاء أو ضجيج.

وللشاعر قدور بلخضر بيتور قصيدة مؤثرة في رثاء الشيخ سيدي بوعمامة، يصف فيها كيف وصلهم خبر وفاته، والذي وقع عليهم كالصاعقة، وحزن عليه جميع أفراد عرش الشعانبة، يقول:

عَظَّمْ لَجَـرْ عْلَى بْكَاكَـمْ يَـا لَخْوَانْ وَعْلَى بَلْخَصْلاَتْ دِيمَـا
غَيَّبْ قُطْبْ الدَّايْرَه مَعْدَنْ لَكْـوَانْ مُولَى الـبَرَكَه وْهَـمّه

(بيتور، ص. 250).

إلى قوله:

قَصّــة اوْفَاتُــو اعْجَايَبْ يَوْمْ انْ وَصْلَتْنَا اخْبَارُو
وَاحْزَنْ عَنُّو عَرْشْ شَعْنَبْ مَنْ طَيبْ الحَلْوَه مْرَارُو

ويذكر مآثر ومفاخر شيخه وجهاده وقتاله للكفار:

حُزْنِي عَنْ شَيْخِي الـرَّايَس مَنْ كَـانْ غْطَانَا جْنَاحُـــو
للصّــدِيقْ ابْـنُورْ خَـالَصْ مَـنْ بِيـهْ الـزَّيَّـــارْ رَبْـحُو
بَـامْرُ ويَسْهَلْ كُـلْ وَاعَـصْ وْيَهْمَدْ مَـنْ نَـــاضْ رَبْحُو
عَنْ سِيرَةْ لَقْـطَابْ حَـارَس ضَـاوِي عَلَّـنْوَارْ وَضْحُـــو
في جَيْشْ الكُفْرَه ايْفَلْعَصْ مَنْ حَرْبُو لَصْلاَبْ طَاحُــو

(بيتور، ص. 251).

إلى قوله:

وَانَا سِيدِي وِينْ دَبَّابْ الدَّهْشَـانْ مَـا يَهْدَى مَحْـفُورْ دِيمَا
خَلاَّ اشْوَايَعْ بَـايْنِينْ افْلاَنْ افْلاَنْ وَاصْوَارْ البُلْدَانْ هَدْمَه
سَوَّلْـني مَـا دَارْ فَلْـغَرْبْ المْـحَانْ دَكْ الـرُّومْ بْلاَ اخْـدَامَا
مُولاَ عَشْرْ مْيَاتْ رَوْحَانِي وَالجَانْ خَدَّامْ عْلَى غِيرُو هَمَّه

(بيتور، ص. 251).

وله قصيدة أخرى يمدح فيها أولاد سيدي الشيخ ويذكر مكارمهم وبطولاتهم، يقول في طالعها:

رَانِي حَايَرْ سَوَّالْ وِينْ دُوكْ الرّجَالْ وَالقَلْبْ اكْثَرْ تَشْقَابُوزَيْنِينْ العَلْفَه قَابُـو
رَانِي حَايَرْ سَـوَّالْ حَالْـتي لاَ تْسَــالْ وَبْكَايَا مَنْ لَنْجَالْ سَاْخفِيـنْ دْمُـــــوعُ

عَنِّي قَابُو لَبْطَالْ وِينْ دُوكْ اشْبَـالْ وِيلاَ عَـادْ زَلْزَالْ ايْخَرْجُو كي سْبُـــوع

(بيتور، ص. 43).

نفي الشاعر عبد الحميد عبابسة[8] وسجنه:

للشاعر قصيدة يتحدث فيها عن سجنه في مدينة مكناس المغربية بسبب أشعاره الثورة، يقول في مطلع هذه القصيدة التي عنونها بـ"سجني في مكناس":

«نَحْكي بَحُـزْنِي يَـا نَـاسْ صْغِـيرْ وْذُقْـتْ لْمْـرَارْ
سَجْـنُونِي في بَلْـدَةْ مَكْـنَاسْ في المغْـرب غـْرِيبْ مَحْـتَارْ
في جْـوَانْ سَـتَّه وَثْـلاَثِـينْ تَـارِيخَـه في قَلْـبِي حْـزِينْ
سَجْـنُونِي المسْتَعْـمِرِيـنْ عْلَى الأغَـاني وَالأَشْـعَارْ
بَـالأَغَـانِـي الـوَطَـنِيّـه انْقِيسْ بِيهَا الْقْلُوبْ الحِسّيَه
نَعْطِي في الصُّورَه الحَقِيقِيّه مَـا عْـمَلْ فِـينَا الاِسْتِعْمَارْ»

(عبابسة،1996، ص. 114).

ويذكر بعد ذلك بأنه تعرض لأشد أنواع العذاب، حتى فقد عينه اليمنى، ولكنه قابل كل ذلك العذاب بالصمود والصبر، لأنه يفكر دائماً في وطنه، ويأمل بأن يستقل يوماً، يقول:

«عْلَى وَطْنِي دَايْماً انْخَمَّمْ نَتْمَنّى في عِـيشَة الاَحْـرَارْ
انْغَنّي وَنْقُولْ في انْشَادِي انْ شَاءْ الله تَتْحَرَّرْ بْـلاَدِي
بْكُلْ افْـرَاحِي وَاسْعَادِي نَمْحِـيو الفَـضحْ وَالــعَارْ
مَنْ سِجْـني يَـا اخْـوَانْ حَكْمُـوا عْلِـيَّا بَالــنّفْيَانْ
رَبْطُـوا يَـدِّيَا العَـدْيَانْ جَابُونِي الشُّرْطَه في القِطَارْ
هَـذَا الكُلْ اللِّي عَـدّيتَه انْ شَـاءْ الله بَـالإِنْــتِصَارْ
انْتِصَارْ الجَزَائِرْ يَتْحَقَّقْ بَالتَّضْحِيّه يَنْتَصَرْ الحَقْ
مَحَبَّةْ الـوْطَنْ تَتْـدَفَّقْ في قْلُوبْ المُخْلِصِينْ الاَحْرَارْ»

(عبابسة،1996، ص. 114-115).

ويذكر الشاعر عبد الحميد عبابسة بأنه سُجن عدة مرات بسبب قصائده وأغانيه الثورية ومنها قصيدة 8 ماي التي سجن بسببها في باريس سنة 1946[9].

وهذا الشعور بالحنين إلى الوطن ورفض الاغتراب سواء كان داخل الوطن أو خارجه نجده عند شعراء شعبيين جزائريين آخرين من الجنوب الجزائري منهم الشاعر علي بن أحمد بن الحرمة والشاعر الهادي جاب الله والشاعر محمد كركبان

[8] عبابسة عبد المجيد، الملقب بعبد الحميد، ولد في بلدة بريكة ولاية الأوراس يوم 15 ديسمبر 1918، كبر في بريكة ثم توجه مع والده إلى بسكرة ثم إلى باتنة ثم قسنطينة واستقر أخيراً بالجزائر العاصمة، توفي يوم 15 ماي 1998 عن عمر 79 سنة رحمه الله.

[9] ينظر، نفسه، ص:1. (المقدمة).

والشاعر شهرة بلخير (عثماني، ص. 229). وغيرهم كثير، ودوافع هذا الشعور مختلفة ومتنوعة ولعل أهمها هو النفي والإبعاد عن الوطن والأهل من طرف السلطات الاستعمارية.

ولأن الاستعمار الصليبي الكافر مِلَّة واحدة، كما كان معتقدا آنذاك، فقد استَحضر بعض الشّعراء في نُصوصهم الشّعرية الشّعبية قصص غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه، وقصص المعارك التي خاضها المُسلمون بعده للدِّفاع عن أوطانهم وإعلاء كلمة الحقّ، خاصةً قصص "الفُتوحات" و"المغازي" التي خاضها الفاتحون، وذلك من أجل شَحذ الهمم وبَعث فكرة النّضال والتّحرر من جديد، دُون أن يَنسوا أيضاً قضيّة المسلمين المحورية وهي القضيّة الفلسطينيّة، التي كان لها أيضاً نصيبٌ مهمٌّ في أشعارهم الشّعبية الملحونة الصُّوفية النِّضاليَّة والتَّحرريَّة.

وكأني أتصور هذا في قول شاعر الثورة التحريرية مفدي زكرياء (1908-1977) حينما تحدث عن شهر "نوفمبر" شهر البطولات يقول عنه:

«نُوفَمْبرُ غيَّرتَ مَجْرَى الحَيَاة وَكُنْتَ نُـــوفَمْبَرُ مَطْلعَ فَـجْرِ
وَذَكَّرْتَـنَا في الجَـزَائِرِ بَـــدْرَا فَقُمْنَا نُضَاهِي صَحَابَةَ بَدْرِ»
(مفدي ،1987، ص. 69).

فقد كتب الشاعر الشيخ سيدي أحمد بن الحرمة عدة قصائد في المغازي والفتوحات والبطولات، التي كانت تستحضر من أجل شحذ الهمم ودعوة الناس للجهاد وقتال الاستعمار والتحرر من قيوده، ومن تلك القصائد:

قَصَّة لَصْحَابْ يومْ خَرجُوا للكُفَّار سَتّين الـف من تْرَاب المَدِيـــنا
فيهم عُـقبه المِـير سَبَّقْ شَـاوْ انْهَارْ في حُرمة صَاحْبُو الهَادي نَابِينَا[10]

وأيضا أخرى يقول في مطلعها:

صَلُّوا عْلَى الهَاشْمِي زِيـنْ اللَّـبْسَا مُحمّد وَارضُوا عْلَى العَشْرَه لَعْيَانْ
حَيْدَرْ مَنُّو خَايْفِين أَرْبَعَة ارْكَانْ[11]←يشير إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وأخرى افتتحها بقوله:

صَلُّوا عْلَى النَّبِي مُحمَّدْ يَا نَاسْ وَارْضُوا عْلَى اصْحَابُو جَمْعْ العَشْره
بُوبكـر وْعُمَر لَجْـوَادْ الـرَّيَّاس عُثـمان وْعَلِي دَمَّـــــــارْ الكَفْرَه
فَتْحُوا امْعَاهْ مَكَّه بَعْدْ الهِجْرَه
ارْضُوا عْلَى الْفْرَاسِين اللِّي كِـيَّاس أبْطَال جَيْشْ عُقبَة قَوْمَ النُّصْره[12]
فِيهَم اشْبَابْ يَدْخَلْ وَسْطْ المْرْدَاسْ مَـوْتْ الجِهادْ عَنْدُو رَبْـحْ تْجَـارَهْ
مَـنَّادْ في مْحَلَّى بَـاعُـو لَـنْفَاس قْطْرَانْ لَلعْـدُو حَـدْجَـه وَامْرَارَه
بَـاعُوا نْفُوسْهَمْ للـمَوْلَى خَلاَّصْ تَبْعُوا طْرِيقَة احْـمَدْ بَابَا الـزَّهْرَه

[10] ديوان الشاعر الفحل الشيخ أحمد بن الحرمة البرياني (1835م – 1924م)، جمع وتأليف: مطلق عمار بن الحاج سعد، د. د. ن، د. ط، د. ت، ص: 218.
[11] نفسه، ص: 231.
[12] نفسه، ص: 207.

والشيخ سيدي أحمد بن الحرمة كغيره من الشعراء كانوا يرون في أيام تلك الفتوحات والمغازي أيام زمن النصرة والغلبة للإسلام والمسلمين، ولذلك كانوا يحنون لعودة أولئك الفاتحين لتخليص البلاد مما هي فيه من استدمار، يقول الشيخ سيدي أحمد بن الحرمة:

منـــاد انْحَشْمُـــو بَنْشَـــادي عَنِّـــي أيـــفـــــرج الغـــــم
يا من درا ايجيني ضاوي للباس يَطْبَعْ ابْطَـــابْعُو لِيَّا بَالمـــــارة
من بُومناد ما نَقْطَعْشِي لِيَّـاس حُبُّو قديـــم فـــي قلبي مَا يَبْـرَا

ثم يذكر في الأخير رغبته في الخروج والخلاص من أسر الكفار الذي هو فيه فيقول:

حـَالي سْقيمْ كَثْرُوا عَنِّي لَهْـوَاسْ جَـارْ الْعْـدُو مَـا صَبْنَا لُـو قُدره
غِيثو خْدِيمكم يا جَمْعْ الخُلاص نِيفُوا على ابن الحرمه فالحُفْرة
راني بْحَالْ طير وْدَاخَلْ لَقْفَـــاص مَسْجُون في بْلاَدْ انتَاعَتْ كفْرَه
إيْشَرْفُو ايْهُوده من حَبُّ الـرَّاسْ وايْعَظْمُوا الصُّلبان مْعَ الحَجْره
واغْفَرْ ذْنُوبْنَا يَـا خَـالَقْ لَنْفَاسْ أهْلِـــي وَوَالـــدِيّه والـلّي حَـضْرَه

ونورد هنا شاعراً آخر من شعراء متليلي الذين تناولوا موضوع الثورة التحريرية في أشعارهم هو الشّاعر الحاج محمّد زيطة، الذي ولد بمتليلي الشّعانبة سنة 1929، حيث كانت أسرته كغيرها من أهل البادية تعتمد في حياتها اليومية على الحلّ والتّرحال، التحق بالكُتّاب عند الشّيخ الطّالب معطاالله عبد القادر، فحفظ جزء ياسين، وشيئا من الفقه، وذلك لأنّه كان يزاول التّحصيل أثناء الحلّ وينقطع عنه أثناء التّرحال. وفي عام 1950 استقرّت أسرته بمتليلي، وبدأ العمل بغرداية، ومنه اتّصل بالشّيخين: بيتور محمّد بن الشّيخ وابن ناجم جلّول، اللّذيْن كانا يحفظان شعر الشّاعر قدّور بلّخضر بيتور.

وبذلك صار شاعرا ينظُم القصائد الوطنية والثّورية وغيرها، صاقلا قريحته بما حفظه من شعر سابقيه وخاصّة شعر قدّور بلّخضر بيتور. يغلب على شعر الحاج محمّد زيطة النّزعة الثّورية والوطنية، متأثّرا بما عاينه وشاهده من ويلات الاحتلال الفرنسي، فنجده يفصّل حادثة حصار مدينته متليلي في 20 سبتمبر 1960، الّذي أمر فيه القادة الفرنسيون بقَنْبَلة المدينة، إلاّ أنّ الطّائرة المُقَنْبِلَةَ احترقت مباشرة لحظة استوائها في الجوّ، فاعترف العدوّ أنّ المنطقة محروسة بقِوى خفية، فعدل عن محاولته حرقها مكتفيا بتنكيل أهلها، وحصار المدينة، وحشد المواطنين في العراء لمدة أربعة أيّام دون أكل أو شرب[13]، فيقول:

" بَاقي نْعِيدْ عْلِيكَم قَصّة يَـا سَـامْعِـين وَاتْصَنْتُو نَشْدَتْهَا يَا لَخْوَانْ
قَصّة مْتَوْرخَه في هَذَا الْوَطَانْ
قَصّه مْتَـوْرْخَه في عَـامْ السَّتّيـــنْ صَارَتْ بَشْعب مَتْلِيلِي شَافْ امْحَانْ
حَـــشْدَتْ فَرَانْسَا قَوّتها مْتْحَرّْبِيـن بَاسْلاَحْ وَعْسَاكَرْ نَعْتْ الجَـــرْدَانْ
حَلْفَتْ ايْمِينْهَا تَحْرَقْ مَتْلِيلي ادْخِينْ كي جَاتْ للْحْدَادَه بَانْ البُرْهَـــــانْ
حَاكَمْ يْقُودْ فِيهمْ لَخْبَارُو طَـايْعِيـــنْ وَارْكَبْ طَايْرَه فَرَّتْ بَالْجَنْحَـــــانْ
كي جَاتْ وَاعْدَه مَتْلِيلي طَاحَتْ بْجِيـــنْ حَرْقَتْ الطّايرة شَعْلَتْ بَالنّيـــرانْ
جَمْلُو الشّعب في البَطْحَا كُلْ مْخَلّْطِينْ رِيجَالْ وَنْسَا وَشْيُـــوخْ وْصَبْيـــَانْ

[13] أنظر تفاصيل هذه الحادثة الأليمة مثلاً في كتاب: (بوغلابة، 2015، ص. 83 وما بعدها.)

رَبْعْ ايّـــامْ عَـــادُوا في غَبْنَه دَاهْشِـــينْ بَالجُوعْ وَالْعْطَشْ صَوْمْ بْلاَ رَمْضَانْ"

وفي ذكرى اندلاع الثّورة التّحريرية المجيدة، أنشد الشّاعر قائلاً:

«نَبْدَا قَوْلِي يَانَاسْ شَهْرْ الدّكْرَى هُوَ السّاس نُوفمْبَر يَا قْيَاسْ نْحَيُو ذِكْرُو يَا فَاهْمِـــــينْ
دَرْنَا لِيه احْتِفَالْ مَنْ عَامْ لْعَـامْ إلاّ تْسَـــالْ بْفَضْلْ ذُوكْ الرّجَالْ قَامُوهَا في سَبْعَا اسْنِينْ
قَامُوا بَاحْدِيدْ اسْلاَحْ في وَقْتْ الثّورة يَا مْلاَحْ هُمَا نَاسْ الكِفَاحْ خَرْجُو لِـــهَا مَتْجَنْدِيـــنْ
وَقْتْ الثّورَه دَعّاس يْقُودُوه أبْطَالْ رْصَـاصْ رَفْدُو عَنّو لَلبَاسْ كَسْوَه وْمُونَا وَالْعْوِيـــنْ»

(بوغلابة، 2015، ص.83 وما بعدها.)

أما في المنيعة فقد كانت الثورة التحريرية أيضاً حاضرة في أشعار شعرائها الشعبيين، وسنورد فيما يلي بعض النماذج من خلال شعرائها ومنهم الشاعر (شبير جلول بن ابراهيم بن إبراهيم)، ولد سنة (1920م) في مدينة المنيعة، من أسرة متوسطة الحال، تعيش حياة الترحال من مكان إلى مكان في صحراء المنطقة، والده الشاعر (ابراهيم بن براهيم) الذي لا يستطيع الحياة من دون الشعر، ووالدته هي مسعودة، استمرت حياة الترحال والرعي وتتبع مساقط الغيث حتى فترة (1945م)، وبعدها استقرت العائلة في المنيعة. درس الشاعر في مسجد المدينة القرآن الكريم والسنة النبوية وبعض المدائح الدينية كالبردة، إلى جانب ذلك درس بعضا من اللغة العربية.

توفيت زوجته سنة (2003)، لم يستطع الالتحاق بالثوار والمجاهدين لأنه المعيل الوحيد لأسرته، خصوصا بعد وفاة والده سنة (1948م) ولم يمنعه ذلك من أن يشارك ببعض الأعمال كإيصال المئونة والسلاح للمجاهدين، ويوافيهم بالأخبار[14].

وبما أن الشاعر عايش الحرب والثورة، فقد جادت قريحته بمدح الثورة، خاصة ثورة (الشيخ بوعمامة) وأصحابه، فقد تغنى بخصالهم وشجاعتهم في كثير من قصائده، والتي نذكر منها (قلبي بهلول في هوى بوسبع قباب)، يبدأ القصيدة بحارسة يذكر فيها مدى حزنه على رحيل أولاد بن الدين:

«قَلْبِي بَهْلُولْ في هْوَى بُوسْبَعْ قْبَابْ اللّيلْ مْعَ النّْهَارْ كَاثَرْ تَنْهَاتُو
رَحْلْ البَيْضَه بْعِيدْ هُوَ وَاوْلاَدُو»[15]

ثم يواصل ذكر حزنه على فراقهم وانتظاره عودتهم دون جدوى:

«مَا نَرْقَدْ مَالنّوْمْ طَابُـو لِي لَجْـنَابْ مَنْ هَمّْ الي هْدَاوْ جْوَابْيَا يَقْـــدُو
نْظَلّْ نْطَلّْ فَالْهْـوَا دِيـمَا لَـــوْلاَبْ وَنْدَنّْفْ كُلّْ يَوْمْ طَوّلْ تِيـــعَادُو
رَحْلْ البَيْضَه اللّي تْعَانِي لُو لَرْكَابْ مَـنْ كُـلّْ بْـلاَدْ كُلّْهَا رَافَـــدْ زَادُو
بَـاقِي هَبَّه شْـوَارْهَمْ تَبْرَا لَعْـطَاب يَتْطَرّحْ خَاطْرِي مْجَالَسْ مِيعَادُو»[16]

[14] مخطوط قصائد الشاعر وحياته.
[15] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 25.
[16] نفسه.

ثم يستذكر خصال أولاد بن الدين وشجاعتهم وإيمانهم الكبير:

«فِي وَادْ ارْبَـا مْبِيحَا قَـدَّاشْ بَـــابْ عَـزْ اللّي قَـاصْدِيـنْ يُوفِي مِيـرَادُو
خَلاَّوْ لَـوْطَانْ عَامْرَا بَطْيُورْ ضْبَابْ بَمْخَـالَبْ يَقَـلْعُو القَـلْبْ إلا هَـدُو
أُولاَدْ بَنْ الدِّينْ حَسَّهَمْ فِي كُلّْ تْرَابْ بَـرَكَه وَالـنُّورْ وَالـنَّصْرْ قْـبَلْ زَادُو
بَكـرْ بَـنْ الـدِّينْ رَايَسْ لَصْحَـابْ حْبِيبْ الهَاشْمِي أحْمَدْ عَنْدْ اوْسَادُو
يَا حَـوْجِي مَا يْعَدّْلُو يَـوْمَ تَصْعَـابْ رَاهْ الـتَّارِيـخْ فِي المْـجَالَسْ يَتْعَـدُّو»[17]

ثم يعود في آخر القصيدة إلى استذكار خصال أولاد الشيخ بوعمامة ويتوعد من يحاول أن يتعدى عليهم:

«أُولاَدْ الشِّيخْ بُـوعْمَامَه يَـاللـقَابْ قُولُـو لَلْـغَالْطِينْ بَـالاَكْ تَتْعَدُّو
يَا وَيْحْ اللّي اوْطَا عْلَى رَاسْ المَشْهَابْ كِـيَّاتُو نَاطْـفِينْ بَـعْدْ اللّي بَـرْدُو
النَّـجْعْ اللّي شْـوَايْعُو فِي كُلّْ تْـرَابْ مَـنْ جَدّْ لْجَـدّْ كُـلّْ طَـاوِي بَقْرَادُو»[18]

ويشيد الشاعر في إحدى قصائده بدور الجمال أو البعير في المعارك أثناء الثورة التحريرية فيقول في قصيدة (هدف لي تفكير في هموم البعير) فيقول:

«سَـــوَّلْنِي وَاشْ يْدِيـرْ فِي نْهَارْ النّْـفِيرْ رَاهْ الـتَّارِيخْ اقْـبَالُـو
يَوْمْ نَاضْ الوَكْوَاكْ[19] فِي نْهَارْ الْعْـــرَاكْ قَطَّعْ قَيْدُو وعْقَالُو
هَـــذَا بَابُـوزْ الـــــبَرّْ فِي لَـــيَالِي يْـــقَر مُولاَه قْصَبْ تِيجَالُو
رَافَـدْ ثَلْثْ قْـنَاطَرْ قْلِيلْ هَـذَا الْعْـبَرْ ذْرْعِيهْ يْرَوّقْ يْشَالُـو
الأَرْضْ مْقَاطَعْ كَتَّانْ بَالْحْفَى وَاللّْيَانْ[20] يَعْرْهَا كِي تَهْـوَالُـو»[21]

ويذكر مشاركته في توصيل المئونة للجيش والمجاهدين فيقول:

«مَا يَرْفَدْشْ البُكْـرَا مْعَمَّدْ عْلَى الـسّْرَا وَنْجُومْ المَغْرَبْ حَـــــالُو
بِيهْ فْرَاسِينْ اللَّوْمْ يْخَبّْرُو عْلَى النّْجُومْ وَالصَبْحْ يْحَطّْ اتْقَالُـــــو
وَاعَـدْ جَيْشْ العَمْدَه مْـــرَاكَزْ مْقَيّْدَه يُوصَلْ لَلْجَيْشْ أَنْوَالُو»[22]

ويشيد الشاعر بجيش التحرير الذي لا يهاب ولا يخاف من المستعمر؛ والذي ضحى بالنفس والنفيس من أجل تحرير الوطن فيقول:

«الجَيْشْ اللّي يَقْسَاحْ[23] يَوْمْ هَمْسْ السّـلاَحْ قَطَّعْ لَلْكُفْرْ احْـبَالُو
جَـابُـــو مَلْـــحْ البُلْـــدَانْ لَـــدْزَايَرْ تْـبَـانْ فَـتَّحْ ذَا الوَطْنْ قْدَالُو

[17] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 25.
[18] نفسه.
[19] الوكواك: المنادي الذي نادى في ليلة أول نوفمبر.
[20] الحفى والليان: الحجارة والرمال.
[21] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 26
[22] نفسه.
[23] يقساح: شجاع ولا يهاب المخاطر.

عَــنْهَا بَلْـــيُونْ وْنَصّْ مَـــاتْ هَــاذْ الدَّس فِي طَوبة[24] ثَم احْتَالُو
نَشْكَـرْ رَاجَــلْ وَبْعِـيرْ وَالمْـــرَا وَالصّْـــغِير كُلّْ ضَـمِير بْمَشْــعَالُو»[25]

ويصف البعير بأنه مثل التلغراف يوصل الأخبار، وبأنه يشبه طائر القطا فيقول:

«هُـو مَا عَزّْ الرَّكْبَه تْقَرَّبْ الصَّـاعْبَه يَفْتُــو للـرَّايْ خْــبَالُـــو
يَسَّمَّى تِلِــغْرَامْ فِي لَـــيَالِي ظْـــــلاَمْ جَابْ أَخْبَارْ اللِّي قَالُـــو
ارْوَاحْ مْنِينْ تْغِيرْ شَـابْ رَاسْ الصّْغِيرْ فَــرْقْ قْطَا كِي يَتْوَالُـو»[26]

والشاعر شبير جلول أيضاً كتب في شعر المغازي حيث كتب قصيدة طويلة يستحضر فيها انتصارات الصحابة والفاتحين على الكفار ولعله هو أيضاً بذلك يذكر المجاهدين في الثورة التحريرية بانتصارات الذين سبقوهم في الدفاع عن الإسلام والأوطان، ومما تناوله فيها نجد غزوات الفاتح (عقبة بن نافع) و(عبد الله بن جعفر) و(الزبير) و(رافع) وغيرهم من الصحابة، وهذه القصيدة هي (مقوا عيني تبكي على اللي طال شناه دايم).بحكم أنهم من فاتحي شمال إفريقيا، فقد أصبحوا قدوة للمسلمين، وتناقلت سيرتهم وأخبارهم من طرف الرواة من عهد إلى عهد، فجادت قرائح الشعراء بتمجيد غزواتهم في أشعارهم.

وفي بداية القصيدة يحكي أخبار مناد (عقبة بن نافع) ويعظم شأنه:

مَقْوَا عَيْنِي تَبْكِي عْلَى اللِّي طَالْ شنَاهْ دَايَـمْ أَهْـلْ البَرَكَه وَالنّور وَالنَّصْرْ فَتْحُو كُلّْ بْـــــلاَدْ
هَاتْ خْبَرْ الغَزَوَاتْ وَاشْ دَارْ الطَّاوِي مَنَّادْ
هَاتْ خْبَرْ الغَزَوَاتْ مَـا يْعَـدَّلْ مَنَّادْ القَايَـمْ عْلَى صَرْبَةْ لَـبْطَالْ وِيــنْ حَتْلَتْ ذَاكْ الميـــعَادْ
بَنْ مَخْــزوم نــقَارْ للطلُوب نْهَارْ تَتْـلاَيَـمْ وَابْن هَاشَم الاَحْرَارْ يَا حْجَابْ الجَيْشْ العِـــــمَادْ
أَهْلْ الحَالْ المْنْقُودْ وَاهَلْ سَطْلاَ وَالدَّقْ العَاظَمْ وَاهَلْ عَوَالِي وَسْيُوفْ يْقَسّْمُو حَجْرْ الصَّمّْ زْنَادْ
أَهْـلْ سْروج المـدْقُور كل فَـارس بالعَـدّه قَايَمْ وَاهَـلْ رْكَـابَـاتْ مْنِينْ يَتْقْبُوا كِي الـبَدْرْ الوَقَّـادْ
سَوَّلْـني وَاشْ طْـرَا نْعِـيدْ عَـنَّكْ قَصّه يَا فَاهَمْ وْيَـوْمْ فَتْحُوا لَجْـدَارْ وَاشْ دَارُوا صَـرْبَة لَسْـيَادْ
قَصّه مَنْهَا شَــابْ لَغْــرَابْ وَتْهَزّْ قْلُـوبْ الـبَاكَمْ وَتْهُـون الــدَّنْيَا الفَانْــيَا ويَـبْكُو مَنْهَا الاَتْـمَادْ»[27]

ثم يشرع بعد ذلك في سرد القصة، ويصف حالة الجيشين المسلم والكافر، واستعدادهم للحرب، واستهانة ملك الروم بمناد وبجيش المسلمين:

«يَاسَيد لْحَقْ بَعْسَاكُـــــرُو وَقْـــدَاوْ بَنْـدَه للرْحُـــــولْ
جَابْ عْلاَمَـــــاتْ يْسِـيـرُو بَزْهِـــيرْ قْوَايْطُو الطّْبُـــــول
الكَافَــرْ زَادْ طْنَـــــابْــرُو وَجَّـدْ عْمَـــــالُو وَالْعْـقُـــولْ
قَـــــاللهَمْ وَاشْ انْدِبـــــرُو لاَهْ عْرَبّْ عْلِيـــــنَا تْصَـــوَّلْ
احْنَا فُـرسَانْ نْسَتْـــــــرُو تَسْمَعْ بِينَا قـــــاَعْ التّْلُـــــولْ

[24] طوبة: التراب.
[25] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 27
[26] نفسه.
[27] نفسه، ص: 55.

لاَزَمْ مَـــنَّادْ نْسِـــــيـــــرو وَنْكَتَّفْ عُقْـبَه بَالْغْلُـــــــولْ
صَرْبَةْ لَبْطَـــــالْ تْشَهْـــرُو سَاوَا وَالعَدَّه عْلَى الْخْيُـــــولْ
قَـــــالْ احْنَا لاَزَمْ نَـامْـــــرُو بَاهِي الخَصْلَه قَبْلَا لرَّسُولْ» [28]

وبعدما اشتدت الحرب بين الجيشين أظهر المسلمون شجاعة وبسالة، من أجل الدين والشهادة، وظفروا بانتصار عظيم ومنوا الكفار هزيمة نكراء:

طَعْـنُو بَسْيُوف يْبَيْدْرُو وَبْـلاَوْ الكَـــفْرَه بَـالْعْـــلُولْ
عَـادُو فَالرّيُوسْ يْطَـيّْرُو حَصْدُوهَمْ كي حَصْدْ السّْبُولْ

سَوَّلْني عْلَى لَصْحَابْ وَاشْ دَارُو بَالجَيْشْ الحَاطَمْ وْخَلاَّوْ مَنْ المْسَنْدِين بَثْلاَثِين أَلْفْ عْدَادْ
عُقْبَانْ عْلَى لَـرْعَالْ هَـوْدُوا وَقْـدَا الرّيشْ قْسَايَمْ فَزُّو وَقْدَرْهَم بَانْ حَالْ بِهَم رَحْلُو لَهْدَادْ»

ويتوعد الملك برد الكيل للمسلمين، وتشتيتهم فأغار عليهم في منتصف الليل وهم نيام، وقتل من قتل، لكن (عبد الله بن جعفر) يخفف عن المسلمين ويذكرهم بأن الله لن ينساهم وأن ما حدث مقدر ومكتوب لا مهرب منه:

«حَتى في نَصّ اللّيل طَاحْ عْلِيهَمْ بَجْنُودْ زَادَمْ مَعْظَمْهَا عْلَى لَصْحَابْ عْلَى بِيهَم في وَقْتْ رْقَادْ
نْزَلْ عْلِيهَمْ بَسْيُوفْ لَعْـوَالِي وَالـدَّقْ العَاظَمْ وْتَسْمَعْ غِيرْ النَّسْـوَانْ بَالـبْكَا وْضَـجّة الاَوْلاَدْ
تْجَـمّْلُو عْلَى الاَمِـيرْ بَالْقْـبَايَلْ وْلانْ تَتايَـم وْقَـاللهم عَـبْد الله الـيَوْمْ هَـاذَا رَبي مَـا رَادْ
كَانْ احْـنَا حَيّين نْخَلفُو نَقْمَة كُـلْ قَـــايَمْ وعَشْرَه بْعَشْرَه وَزْنَاتْ وَالْحْدِيثْ خَبْرُو يَـنْعَادْ»

ومن شعراء المنيعة أيضاً الذين احتفوا بالثورة التحريرية ومقاومة الشعب الجزائري للمستدمر الفرنسي نجد الشاعر الشيخ مسعودي رحمه الله الذي يقول في إحدى قصائده:

«الشُّهَـــدَا رَفْعُوا لَلدّْزَايَرْ سُمْعَتْهَا بَعْد قَرْنْ وثلاثين زَايَدْ عَامَين اسْتِعْمَارْ
يَحْسَنْ عَوْنِي عْفَسْتْ عْلَى سُمْعَتْهَا بَقْتْ الثَّوْرَه كَانْ عَمْرِي مَنْ الصّْغَـــارْ
ثَلْثْمِيَة شَهِيدْ زِيدْ ثْلاَثِينْ مْعَـــاهَا وَمَادَا شَافُو مَنْ مْعَـــارَكْ وَالدَّمَـــارْ
وَالشُّهَدَا جْمِيعْ نَحْتَرَمْ قْبَـــايَلْهَـــا كُـــلْ بَيْـــتْ بَيْـــتْ وْفَـــرْدْ وْدَوَارْ
يَا طَالَبْ اقْرَا عَالْمْعَارَكْ وَافْهَمْـــهَا وْلاَ تَنْسَى ارْوَاحْ الشُّهَدَا الاَبْـــــــرَارْ
مَعْرَكَة جَرْجِيرْ عَنْدَكْ لاَ تَنْسَاهَـــا تَقْعَدْ للتَّارِيخْ كِي وَضْحَ النَّهَارْ
وْمَحْصَرْ بَشْقَافْ لْلْغَرْبْ حْدَاهَـــا في مَتْلِيلي كَانْ مَجْمَعْ للثُّوَّارْ»

والقصيدة طويلة حيث يؤرخ الشاعر للمعارك التي جرت وشارك فيها أبناء الجنوب من محصر بشقاق والجرجير إلى جبل بوكحيل وكسال غربا ومعركة قصر الحيران والشلالة شمالا إلى معركة جبل عيسى إلى الحدود التونسية شرقا.

كما نجد أيضاً الشاعر علي بلحاج[29] : هو علي بن قويدر من محمد بن الحاج، وأمه النوية بنت قدور بن محمد بن الساسي بن سيد أحمد بن أحمود، ولد بالمنيعة يوم الاثنين 12 عاشوراء 1321هـ الموافق لسنة1903 م بالمكان المسمى "فجيجة النياق" والتي تبعد عن المنيعة بحوالي 70 كلم.

[28] مخطوط قصائد الشاعر، بحوزتنا نسخة منه، ورقة: 56.
[29] نبذة عن المجاهد علي بلحاج، انجاز مكتبة فوريم، حاسي القارة، المنيعة.

في سنة 1930 كان أول اتصال وانخراط له في صفوف الحركة الوطنية بعدها في سنة 1935 انخرط في جمعية العلماء المسلمين بمكتبتها بالمنيعة، تحت إشراف المرحومين عمار الساسي والطالب حمة بلحاج وكان هذا المكتب يشرف على كل من مدينة عين صالح، ورقلة، متليلي، والمنيعة وفي سنة 1936 عيّن كمندوب للمكتب في المؤتمر الذي انعقد بمدينة الجلفة.

وافته المنية يوم 15 سبتمبر 1991م على الساعة الثالثة ظهرا بمستشفى المنيعة.

ومن الشعر الثوري له نجد أنه يصف اللحظات الأولى لدخول المحتل الفرنسي للأراضي الجزائرية:

«نبدَا نَنْظَمْ نْعِيدْ لَكْ هَذَا المَقَالْ ثَبَّتْ عَقْلَكْ مْلِيحْ وَتْصَنَّتْ لِيَّا

تَارِيخْ الحَادْثة الدَّوْلَه الفَتِيّه

التَّـارِيخْ اللّي مْفَصّل بالتَّفْصَـــــــالْ عْلَى الجَزَائِر قْدِيمْ وَافْهَمْ مَعْنَايَا

وَقْتْ الأَتْـــرَاكْ نْخَبَّرْكْ عْلَى الاِحْتِـــلاَلْ عَامْ ثْلاَثِينْ بَعْدْ الأَلْفْ وَثَمْنَمْيَـه

يَوْمْ انْ هَجْمَتْ فْرَانْسَا عْلَى الوْطَنْ قْبَالْ مَنْ بَابْ فْرَجْ دَخْلَتْ جْنُودْ قْوِيّه»

ويستمر الشاعر في وصف الواقعة متتبعا أحداثها بدقّة وبراعة والغيض والحسرة يملآن صدره ويشعلان نار الثورة به.

أما شقيقه الشاعر حمّة بلحاج فيقول في نفس الغرض واصفا إحدى الذكريات التي عايشها فيقول[30]:

«يَومْ رَبْعَة أفريل كي تْكَشّفُوا الاَسْتَارْ وتوضّح مَا كَانْ خَافي بَاسْـرَارُو

تَرَى القَـــوْمْ مْوَزّْعَه فِي شَاوْ نْهَـــارْ مَقْسُومَه حَوْزَاتْ نَايَضْ غْبَارُو

يَا الاِسْلاَمْ عْلاَهْ عُدْنَا رَبْعْ أشْطَـــــارْ ويَوْمْ العِيدْ الكّلْ يَسْبَحْ بَاذْكَارُو

مَـاذَا افْعَلْ بِينَا الكَـافَرْ الاِسْتِعْمَـارْ شَتَّتْنَا كَالرِّيشْ بَارْيَاحْ امْكَـارُو

إلى أن يقول واصفا حال المجاهدين:

«ويَومْ الهَوْلْ الدَّم يَجْري كَالأَنْهَارْ بَالخثري والكور صيّحْ مَسْمَـارُو

طيّارة وأطْنَاكْ والمدْفَعْ زَغْـــدَارْ دَارْ أكْبَادَه في السَّمَا ثَاقْبَه نَارُو

وَالمُنَافِقِـينْ تَذْبَـــالْ أُو تَصْفَـــارْ وْحِزْبْ الله بَايْنَه لِيهْ اشْـــوَارُو»

وله قصيدة أخرى يثني فيها ويشكر المجاهدين على حسن صنيعهم قائلا:

«الشُّكْرْ نْخَصّصُو للمُجَاهِدِيـنْ اللّي مْسَمّيهُمْ جَيْشْ التَّحْرِيـــــرْ

انْصَرْهَمْ يَا الله بَالنَّصْرْ المُبِيـــنْ مَنَّكْ يَاتِي النَّصْرْ وَانْتَ يَا قَدِيـــرْ

انْصَرْهَمْ كِيف مَا نْصَرْتْ الاَوْلِينْ اصْحَابْ رَسُولْنَا البَشِيرْ النَّذِيـــرْ

كِيمَا أَيَّدْتْهُمْ بْنَصْرَكْ فِي حُنَيْـــنْ فِي يَوْمْ أُحُدْ وْبَدْرْ وْفِي وَقْعَةْ خُوبِيرْ

بْجَاهَكْ يَا الله عِينْ المَظْلُومِيـــنْ وَبْجَاهْ اللّي يْكُونْ جَاهُو لِيكْ كْبِيرْ»

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن الثورة التحريرية والمقاومة الشعبية في الجنوب الجزائري خاصة بولايتي غرداية والمنيعة كانت حاضرة في الأشعار الشعبية التي أصبحت السنوة خاصة يتغنين بها في مختلف المناسبات، وسنورد هنا بعض النماذج من الأشعار التي تتغنى بها النسوة عند مذابيح بلدية ضاية بن ضحوة ومنها:

«يَوْمْ مِينْ رفْدُّوا اَلْمِيرْ وِابَيّكْ يَابَكَارَهْ وُيَاعَايْشَهْ وِيْنْ دَارْ سِيـــــدِكْ

[30] بوعمامة لعمش، مخطوط كتاب على مدارج النضال للمجاهد محمد جبريط مصدق.

يَارَبِّي حُطْ رَحِمْتَكْ رَانّا مَاطُقْنَـاشْ حِسْبُوهَاْ كِيْ اَلْجْلَبْ ورفْــدُوا
مُحَمَدْ هِزْ قِبِلْتِكْ رَاهْ لِعْلَامْ طَــاحْ وْقَــاعْ ارُيَّــاسْ لَقْــطُوهَــا»[31]

وأيضاً

«اَلْرُومِي جَابْ وَرِقْتُوا وقَالْ اعْلَى اَلْشِهْبَّانْ وِاَلْعِيْدْ ايْقُولُوا ابْرِيــزُوا
امْعَــمَرْ فَكْــهَا فِــــيْ يَــوْمْ اَلْمْعْــــرَكَهْ وْيَمِينَهْ جَــابِتْ نْمُــورَهْ
اَلْعِيــدْ انْتَا شْوَايْعِكْ جَــاتْنِي مِنْ ابْعِيدْ وْيَمِينَهْ جَابْتِكْ وَحْــدِكْ
آنَّــا مَــا شُفْتْكُمِشْ رَانِي غِيْرْ نَسْمَعْ بِيكُمْ وَاَلْقَوْلْ ايْوَاتِي سْبُوعَهْ»

وأيضاً

«اَنّا حَالْفَهْ ايْمِينْ مَا انْدِيْرْ اَلْحِنَّــهْ غِيرْ الاَ خَرْجِتْ افْرَانْسَا مِنَّا
اَلْطَيَــــارَهْ رَافْــــدَه بِنْ بَلَّــــهْ هِيَّ اذْهَبْ وُرَاسْهــــاَ فَضَهْ
اَنّــا حَالْفَهْ ايْمِينْ مَا انْدِيْرْ اَلْحِنَّهْ غِيرْ الاَ خَرْجِتْ افْرَانْسَا مِنَّا
طَالْعَهْ لِلْبِيرْ ورَاسِي عِرْيَــــــــانْ كِي ايْجِي بُومَدْيَنْ انْبَايْعُولُوا»

وأيضاً

«ياناس الخير بشروني بن بلــه ســرحــوه ولا مـــــزال
البــيوعي ايلبسوه اشكـــاره ولا ايهدمــولوا سنـــيه
بن عمــي فـــي الحبس ميت والبيوعي في دارو فرحـان
الكرســي يستاهلــوا بن بلــه ولي ايسرحوا المحبوسين»

ومنها أيضاً

«شُفْتْ إمْلِيكَهْ إمْسَرْكْلَهْ كِي الدِبانْ
عْلَى إطْيُورْ إسْرِيكَهْ ولْقَلْبْ رَاه حَايِرْ
لِيْلِتْهُمْ هَامَّــا اعْجَــاجْ وْقَبَــــارَهْ
وَاشْ مِنْ سِبَهْ لَاحِتْ خَـاوْتِـي اهْنَــا
رَاهُمْ رِفْدُوا البُـومْبَهْ فِيْ اَلْطَيَّــارَهْ
رَاهُمْ شَـــــافُوا خُوتِي فِي الدَارْ طَيْحُـــوهَا
خُــوتِي لَحْرَارْ هَامَّا كِي إيْشُوفُوا ذِيْ اَلْجُنُودْ»

كذا

«اَلْعِــيسَاوِي وَاْشْ دَارْ انْ بَاصَيْتُوهْ
يَـا سِيدِي الكُومِنْدَانْ وَاشْ إتْسَالُوْا
اَلْعِيـسَاوِيْ رَاهْ فِي اَلْــبَاطِلْ مَحْبُوسْ
وْيَعْطِيكُمْ يَا بِيبَانْ اَلْنْصَارَى تكْسَارَى
وْكُــلْ لَيْلَهْ عَــنَّا اَلْبِيــبَانْ يِصَّــالُوا»

[31] مخطوط أغاني شعبية نسوية بولاية غرداية، ورقة: 15.

ومنها

«راني مَتنويّه عْلَى بُومـديـــــــنْ كِـــي سَكْرُو اعْليهْ البِيبَـــانْ
يَبْكـــــوا اعْلِـيه الشُّـــهَـــادَا وَعْلَى ابَّهَمْ زَيـــــن الرَّايَـــسْ
رَاهُو امْسَامِي الأمير عَبْدَ القَـادَرْ لِـــي ابْـقَى ايْزُورُو يَعْطِيـــه
أَنَـــا وَالخَـــــاوَه قـــاَعْ نَاطْحِين رَاهْ مْخَلّي خَطّْ اطْرِيقُوا مَقْدُودْ
أَنَـــا لاَ حَدّْ اثْنِيـــنْ رَافْدِينُـــوا وَمْـدَافَعْ بَـــاهْيَه وَطَيّـــارَاتْ
أَنَـــا هُوَ هَزّْ لِيتيـــمْ وَالهَجَّالَـه وَاسْكَنْ العَـــالْية مَا وَلاَّشْ»[32]

وفي متليلي أيضاً تتغنى النسوة ببعض الأشعار الخاصة بالثورة منها:

«كُنَّـــا تَحْتْ التْرَابْ المجُـــاهِدِين طَلّْعُـــونَا
شَرْبُوا سَيْ[33] النّيَاق اللّي طَلْعُوا الجبَلْ الوَاعَرْ
لاَطْفَالْ لِيقدا وَليـــامس وَدّْعُـــوا الدَّنْيَـــا
سَكْنُـــوا رُوس الجْبـــالْ خَلاَّوْ اوْلاَدْهَم ايْتَامَة
عَنّهم رَانـــي نْجِيـــبْ يَا سَعْدِي زَايْرِين مَكّة»[34]

أهزوجة عن المجاهدين (المنيعة):

«كَـــتْـــلُـــو وَلاَدْ الـــرُّومِّـــــي وَدَّاوْ وَطَـــــنْـــــــهَـــــمْ
نَـــبْـــكِـي عَـــلا لَـــطْـــفَـــالْ مَـــــاتُـــوا بَـــــــلَا وَدَعْ
خَـــلَّا الـــوَالْـــدَيْـــــنْ وَالـــبَّـــزْ[35] وَالـــنَّـــسَـــا
مَـــانِـيـــشْ طَـــمَّـــاعَـــــة وَنَـــبْـــكِـي عَـــلَى الـــوَطَـــنْ
فِـــيَ جَـــنَّـــة الـــرَّحْمَـــانْ اَدُّونِـــــي مَـــعَـــاكُـــــمْ»[36]

أهزوجة عن الثورة (المنيعة):

«يـانـا كِي نَقْدَا لَجْبَـــالْ نْكَرَّزْ[37] تَـــقْبَضْنِي سِينْيَا[38] وَسَكْنَتْ لَعْظَـاْمْ
يَـحْـسَـــنْ عَوْنِي لَـــيَـــا بَـكَـيْـــتْ طَـــيَّـــارَةكَـاْتَـــلَـــه خَوَيْلِـــي شَـهِيـــدْ
دُوكْ لْـمُـجَـاهِـديـــنْ رَقْـــدُوا[39] يَـــجْـــعَـــلْ جَـــنَّـــتْـــهُمْ لَـوَرْدْ وَرَّيْحَـانْ
نَـحْمَدْ رَبِّـي ضَحَيْـــتْ نَرْقَـــدْ فِي زَهْـــوَةحَـــاكْـمِـيـــنْ فِـــي لَطْفَـــال
وَلْـيَعْطِيـــكْ لِي زَهَـــاوْخُـوتِـــي وَدَيْـــنَـــا اِسْتِقْـلَاْلْـنَـــا فِـــي الحَـيَـاةْ
رَانِـي مَـجَـاهْـدَا رُوحِـي لَـــوْ كَـانْ نْـصِـيـبْ نْـخَـلَّـصْ مَـضَـــاعْ

[32] نصوص شفوية مدونة بحوزتنا
[33] سي: الحليب
[34] نصوص شفوية مدونة بحوزتنا
[35] البز: الأطفال.
[36] نصوص شفوية مدونة بحوزتنا.
[37] نكرز: الصرع.
[38] السينيا: الحمى.
[39] رقدوا: استشهدوا(الموت).

وَرُّومِّي كِـالَبْـهِـيـمْ[40] يَـمْـشِـــي قَــدَّامْ خَــوْتِـي قَـرَادْ وَكَــابُــوسْ»[41]

خاتمة

ونخلص في الأخير إلى أن الشعر الشعبي الملحون كان له دور كبير في الثورة التحريرية بالجنوب الجزائري، وذلك من خلال تسليط الضوء على المعاناة التي كان يعيشها الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وكذلك وصف بعض المواجهات والمعارك التي خاضها الشعب الجزائري رافضاً الاستعمار ومتطلعاً إلى الانتصار والحرية، واستخدم الشعراء في ذلك أساليب مباشرة وأخرى غير مباشرة من خلال لجوئهم إلى الرمز واستحضار بطولات السابقين من الصحابة والفاتحين للاقتداء بهم في تخليص بلاد الإسلام من الاستعمار الغاشم.

قائمة مصادر البحث ومراجعه

بلقاسم خميلي، **روائع الشاعر الشعبي عبد الله التخي بن كريو**. مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، السحاولة الجزائر، د. ت، د. ط .

بوعلام بالسايح، (2007). **أشعار الهوى والوغى لمحمد بلخير: نصوص من التراث الشعبي الجزائري**، تر: نور الدين خندودي. المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار(ANEP) .

ديوان الشاعر الفحل الشيخ أحمد بن الحرمة البرياني (1835م – 1924م)، جمع وتأليف: مطلق عمار بن الحاج سعد، د. د. ن، د. ط، د. ت

سليمان بوغلابة، (2015). **حصار 20 نوفمبر 1960م لقلعة المقاومة ومهد الثورة متليلي الشعانبة**. دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،

عبد الحميد عبابسة، (1996). **الدر المكنون في الشعر الملحون**، ط1. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د. ط.

حسين لعمش وآخرون، (2020). **الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور**، ط1. دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد عمر الدّعة ومؤلفون معه، **سلسلة الأبطال**، المجلد 7. منشورات المكتبة العصرية.

عمار بن الحاج سعد مطلق، (2011). **مدخل إلى تاريخ أولاد سيدي يحيى الحسني الأشراف بالصحراء الجزائرية**، ط1. مطبعة سي العربي.

زكرياء مفدي، (1987). **إلياذة الجزائر**. المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط.

ناصر صبار، (2002). **مصطفى بن إبراهيم: شاعر الحنين إلى الوطن**. دار الغرب للنشر والتوزيع.

بولرباح عثماني، (2020). المنفى والإحساس بالحنين إلى الوطن في الشعر الشعبي الجزائري، **مجلة إشكالات في اللغة والأدب**،9 (2). المركز الجامعي لتامنغست.

عاشور سرقمة، (2018). المغازي في الشعر الشعبي عند شعراء الجنوب الجزائري، **مجلة الفنون الشعبية**، (24). وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية.

محمد بشير بويجرة، (2002). تجليات الأنا والغبن في الخطاب الشعري الشعبي محاولة في رسم معالم الذات والآخر: قلبي تفكر الأوطان نموذجاً، **مجلة إنسانيات**، 6 (17-18). مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

خالد الشامخة، **ديوان الشّاعر الشّعبي الشّعانبي قدّور بلّخضر بيتور**، مخطوط.

[40] كالهيم: كالحيوان.
[41] حاورنا في ذلك: خيرة بن الشيخ: 2015/09/09، في بيتها، 11:00 صباحا.

لعمش بوعمامة، **مخطوط كتاب على مدارج النضال للمجاهد محمد جبريط مصدق**.

مخطوط قصائد الشاعر شبير جلول وحياته .

مخطوط أغاني شعبية نسوية بولاية غرداية.

نبذة عن المجاهد علي بلحاج، انجاز مكتبة فوريم.